هيئات الفم ومعانيه

لجناب الدكتور شبلي شميل

ان كل حركة من الانسان التي تأتي بداهةً مهما خفيت اذا دققت النظر فيها جيداً تجد ان لها مدلولاً تدل عليه . فهي لا تأتي اعتباطاً ولكنها واقعة تحت شرائط وقوانين معلومة راسخة في الجسد كله وممتزجة بعضها مع بعض بناموس المطابقة على سرّ الاجيال بحيث ان كل مؤثر يطرأ على اي جزء من البدن يحدث فيه تأثراً تهتز له سائر اعضاء هذا البدن . وهذا التأثير انما هو من مطابقة حركات العضلات التي يتألف منها الجسد لانفعالات الاعصاب التي تنقل التأثير وتتأثر منه بحسب ما يكون موافقاً لها او غير موافق الاّ ان من هذا التأثير ما هو ظاهرٌ لنا جيداً ويبدو لاقل عيان ومنه ما هو خفيٌّ . واشد اعضاء الانسان قبولاً لهذا التاثير واعظمها اظهاراً له عضلات الوجه بحيث ان اقل تاثير يشعر به الانسان يرتسم على ملامح وجهه ارتساماً بديعاً يظهر للمتأمل حيداً مهما اجتهد صاحبه في اخفائه حتى قيل في المثل السائر والقول حق " الوجه مرآة الانسان " مرآة تدل على حبه وكرهه وانبساطه وانقباضه وقبوله وإبائه واصغائه وتشتت افكاره ورغبته ورهبته واختياره واحتقاره وميله واعراضه وسلامته وخبثه وصدقه ومكره وبساطته ودهائه وذكائه وبلادته وانسه ووحشته ولذته والمه وصحته ومرضه وبالجملة على كل حال من احواله الاصلية فيه والعارضة عليه . وليس للانسان لغة مشتركة بين افراده مثل لغة ملامح وجهه فالبشر عموماً يخاطبون في اللغات التي يتحدثون بها ولكن قلما يختلفون في هذه اللغة البديهية الطبيعية التي هي فيهم أعرق جداً من اللغات الأخر الحادثة لانها لغة كانت للانسان قبل ان يتيسّر له النطق بلسانه باجيال عديدة لا يحصيها علمنا الاّ يوم نشأة الحيوان . واوضح اعضاء الوجه اظهاراً لهذا التأثير العينان والفم . اما العينان فكلٌّ يعلم ما لهما من قوة التعبير عن الشعور وقد تفنّن الشعراء في وصف معانيها حتى لم يدعوا فيه قولاً لقائل وان كانوا لم ينظروا فيه الاّ من وجهة الجنون . واما الفم فقلما نظروا الى هيئاته وان كانوا قد اطنبوا في وصف محاسن معانيه . اما نحن فليس غرضنا من هذه المقالة الكلام على سحر العيون وصهباء اللمى فذلك قد سبقنا اليه الشعراء الفاروق وانما غرضنا الوحيد ان نبحث في الامر بحث الطبيعيين الذين يقدّرون كل شيء في الطبيعة قدرهُ والاطباء الذين يستخلصون من ذلك خيرهُ . ونغفل الكلام على معاني العيون وان كان مجال الكلام فيها وسيعاً ونقتصر في البحث

على معاني الفم بحسب هيئاته لان الموضوع اقلّ تعارفًا ولانه كذلك اقرب الى صناعة الدواء . ولا بد لنا من الكلام اولاً على عضلات الفم وحركاتها توطئةً للكلام على هيئاته لان هيئاته انما تتوقف على حركات عضلاته . فنقول

عضلات الفم لها ثلاث وظائف وهي تقطيع الاصوات وتقوية الذوق وتقوية السمع ولا نتكلم هنا الاّ على ما يتعلق منها بالذوق

اما الذوق فهو الحاسة التي تنمو قبل كل الحواس الأخرى والتي تبقى من اول الحياة الى آخرها اكثر منها وتجلسها كما لا يخفى الفم . والفم يحيط به من الامام عضلة حلقية مسطحة تسمّى بالعضلة المحيطة للشفتين تحيط بفتحة الفم . ويغطي حافاتها من عند هذه الفتحة غشاء مخاطيّ ورديّ اللون . فهذه العضلة اذا انقبضت بقطع النظر عن العضلات المحركة للفك السفلي سدّت الفم ويتعلق بها من الظاهر عضلات مضادة اذا انقبضت تحت الفم وحركات العضلات الفاتحة للفم والسادة له مختلطة جدًا مما يجعل حركات الفم مختلفة كذلك ولهذا السبب كادت معاني حركات الفم تكون في اهميتها كمعاني حركات العينين . واذ قد علمت ذلك فلنتقدم الى الكلام في هيئات الفم بحسب نوع كل تأثير.

هيئة الاستمرار. اي وجدان الطعم مرًّا متى وضع على اللسان شيء مذوق فالذوق يحس به احساسًا غير تام ولا يكون الاحساس تامًّا الاّ اذا ضغط السطح العلوي من اللسان على سقف الحلق اذ ان اطراف الاعصاب الذائقة هي في الحلمات الكأسيّة التي على ظهر اللسان . ولذلك كان الانسان اذا وجد في المضغ شيئًا ذا طعم كريه فصل فكيه احدهما عن الآخر لكي يبعد اللسان عن سقف الحلق ما امكن ويجتنب احتكاك ظهره به وتكرار الاحساس بهذا الطعم الكريه . ويصاحب هذه الحركة في الفكين حركةٌ شبيهة بها في الفم فان الشفة العليا تبتعد ما امكن عن الشفة السفلى كما يبتعد سقف الحلق عن اللسان فتتغير هيئة الوجه اذ ترتفع حافة الشفة العليا الحمراء الى فوق من عند منتصف نصفها الجانبي وبين حاتين التقطتين تنقلب الشفة العليا بحيث يظهر الخط الجانبي للشفة كأنه مقطوع ويرتفع جناحا الانف كذلك وحينئذٍ يظهر الميزابان الانفيان الجانبيان (وهما الميزابان اللذان ينزلان من جناحي الانف بانحراف حتى يصلا الى زاويتي الشفتين) بالقرب من جناحي الانف واضحين جدًا وعلى خط قائم ويصاحب ذلك تجعد جلد ظهر الانف ايضًا بسبب ارتفاع جناحيه وهذه الهيئة التي وصفناها في الوجه تظهر اولاً عند كل طعم مرّ وترى ايضًا عند كل فكر كريه جدًا مما توصف طبيعته بالمرّ كما ترى في (شكل ١)

وقد تكون هذه الهيئة ايضاً كما ترى في (شكل ٣) وتظهر على الجبهة خطوط عمودية ومعناها حينئذٍ يختلف جدًّا بحسب طبيعة النظر فاذا كان النظر جامدًا ارتسمت على الوجه هيئة العذاب المرّ وذلك علامة على ان الانسان يصبر على احساسات وتجارب مرّة . ولكن اذا كان النظر ثابتاً وقويًّا ارتسمت على الوجه علامات التهيج الشديد . وان اتجهت العينان الى فوق بهيئة انذهال فبالطبع لا تظهر الخطوط العمودية وحينئذٍ بينما تكون الشفة منقبضة تنقبضًا مرًّا ترتسم على الوجه هيئة تفكّر مؤلم . فان ظهر على الجبهة عوضاً عن الخطوط العمودية خطوط افقية وارتسمت على الفم هيئة الاستمرار دلّ ذلك على ان الانسان يفتكر بامور مرّة يقصد ان يطيل الافتكار بها لكي يتأثر منها طويلاً

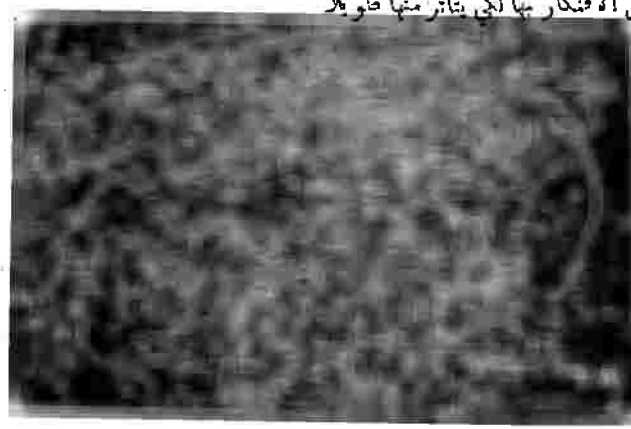

هيئة الاستمرار مع تجعدات عمودية على الجبهة شكل ٣ هيئة الاستمرار شكل ١

على ان السحنة تتغير اشدّ التغير متى ارتسم عليها مع هيئة الاستمرار هيئة الرعب اعني متى ظهر على الجبهة خطوط عمودية وافقية معًا فحينئذٍ يظهر على الوجه هيئة الخوف الشديد . ولقد وصف بعضهم هيئة الخوف بقوله "ان شئت ان تصوّر المجروح او المضروب فصوّرهُ بوجه اصفر وحاجبين مرتفعين وكلها متجعدة . وصوّر المخزين منفتحين مع بعض تجعدات بالقرب منهما تنتهي عند ابتداء العين . وبما انهما سبب هذه التجعدات فيكونان مرتفعين . وصوّر الشفة العليا مرتفعة كالقوس بحيث تنكشف الاسنان العليا وانفصال الاسنان عن بعضها دليل على صراخ المجروح" ولقد وصف دارون سائر اعراض الخوف بقوله "تسرع ضربات القلب وتشتد وترتفع الصدر ويصفرّ الجلد للحال كما يحصل في اول الغشي . واصفرار الجلد ربما كان

سببه تأثر الاعصاب المحركة الاوعية فتقبض الشرايين الصغيرة للاغشية . وتأثر الجلد من الخوف الشديد يظهر ايضًا بالعرق الغزير العجيب الذي يحصل في الحال ومما يجعل امر هذا العرق موضوعًا للتعجب هو ان الجلد يكون بحال الخوف باردًا ومنهُ اسم العرق البارد مع ان الغدد العرقية لا تشتغل عادةً الاَّ اذا سخن الجلد . ويقف الشعر وترتجف العضلات السطحية . ومع اضطراب الدورة الدموية يسرع التنفس . واخص اعراض الخوف الارتعاد الذي يستولي على جميع عضلات الجسد وهذا الارتعاد مع جفاف الفم يغير الصوت فيجعل اى ينقطع تمامًا " وهذه الهيئة التي ذكرت في الوجه تجدها عادةً مرسومة على اوجه اصحاب الطبع المتمرمر

هيئة الاستحلاء * هيئة الاستحلاء ضد هيئة الاستمرار فالمستحلي اي الذي يجد الشيء حلوًا خلافًا للمستمر اي الذي يجد الشيء مرًّا يرغب في اطالة مدة ملامسة الحلو لاعصاب ذوقهِ لكي يتمتع بطعمهِ ما امكن فيغلق فمهُ ويضغط خديهِ بشدة على اسنانهِ لكي يجمع الاجزاء الحلوة ويحصرها على لسانهِ الذي هو عضو حاسة الذوق كلَّا تخلَّل بين خديهِ وفكيهِ في المضغ وتبتعد عن لسانهِ ويحرم التمتع بكل لذتها . وضغط الخدين على الاسنان اكثرهُ يكون من فعل العضلات الضاحكة لذلك كانت الهيئة الحلوة تشبه جدًّا الهيئة المتبسمة وانقباض العضلة المحيطة بالشفتين الذي يكون حينئذٍ يقاوم فعل العضلات الضاحكة الجانبي . على ان الصفة التي تمتاز بها هيئة الاستحلاء انما هي الشكل الخصوصي الذي تظهر بهِ الشفتان فان العضلة المحيطة بالشفتين تنطبق بقوة على الاسنان فتخفي الجزء الاحمر من الشفتين بحيث تظهران مسطحين وعلى خط مستقيم للناظر اليهما من جانب

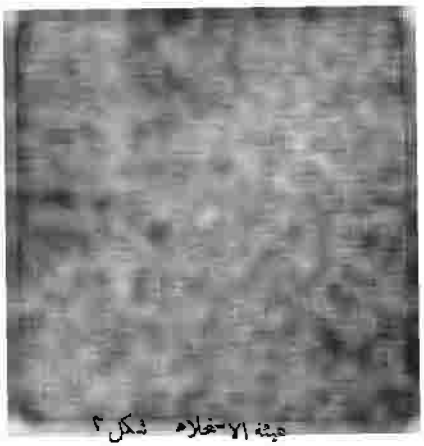
هيئة الاستحلاء شكل ٢

ولا يأخذ الفم هذه الصورة عند الاحساس بالطعم الحلو فقط بل عند تذكره كل شيء يستحليهِ ايضًا . واذا تركبت هيئة الفم وقت الاستحلاء مع النظر المفتون دل ذلك على هاجس مستعذب . فان تركبت مع نظر ذابل دلت على الفتح والدلال وان تركبت مع تجعدات مستعرضة في الجبهة دلت على التفكر بامور

مستعذبة . والغالب ان هيئة الاستحلاء تظهر عند الاستعداد للتقبيل حقيقةً كان ذلك ام تخيلاً ومثل هذه القبلة تعرف بالقبلة المستعذبة او الحلوة

واعلم ان عادة التقبيل كعلامة على المحبة والحنوّ ليست فيما يقول الباحثون عامةً لجميع الشعوب قال داروين في هذا المعنى ما نصهُ : "نحن قد تعودنا ان نظهر محبتنا بالتقبيل . وربما ظننا ان التقبيل علامة غريزية في الانسان يعبر بها عن حبهِ والحال ان من الناس من لا يعرف هذه العادة كالفوجيين اي سكان ارض النار واهل زيلاندا الجديدة والطاهيتيين والبابو واهل استراليا والصوماليين في افريقيا والاسكيمو . والظاهر ان سببهُ اللذة الحاصلة من ملامسة الشخص المحبوب . وفي كثير من البلدان لم عوضاً عن التقبيل بعض اشارات يظهر ان اصلها واحد ففي زيلاندا الجديدة ولابونيا يتوددون بحك الانف وفي غيرها بضرب الكف على الذراع او الصدر او البطن او بضرب الوجه بيدي الحبيب او برجليهِ . وبعض المخارنة بالضم والشم وربما كانت عادة النفخ كعلامة على التودد من هذا الاصل ايضاً

وهيئة الاستحلاء هي هيئة جميع الاحساسات والاستحضارات المحبوبة التي يصفها الذوق بالحلاوة . لكن لما كانت الحياة لا توفّر للانسان مثل هذه الاحساسات الاّ في ماندر كانت هذه الهيئة لا توجد مرسومة على الاوجه بالفطرة الاّ نادراً وتكاد لا توجد في الرجال وتوجد احياناً في النساء وهي فيهنّ نتيجة لصنعهنّ في اتخاذ هذه الهيئة اولاً ثم صار التصنع طبيعةً . ومتى كانت هذه الهيئة ثابتة تؤثر في كل شخص بسيط تأثير الطعم الحلو اذا دام اعني تاثيراً محبوباً . فاذا رأيت هذه الهيئة منطبعة جيداً في شخص فتوقع من هذا الشخص ان يستعمل في حديثهِ كلاماً حلواً غالباً وان يميل بالطبع للتكلم عن اشياء حلوة وموسيقى حلوة وحب حلو حتى آلام حلوة ايضاً

هيئة التخصص — اذا اراد الانسان ان يذوق شيئاً ليحكم على طعمهِ كما اذا اراد ان يذوق الخمر مثلاً يضع هذا الشيء بين شفتيهِ ويقدمها على شكل خرطوم ثم يجعلهُ يمرّ بانّ على ظهر لسانهِ لكي يطيل تاثر حاسة الذوق بهِ ما امكن ليتمكن بذلك من الحكم بهِ . وترى هذه الهيئة في الناس الذين يفحصون قيمة الاشياء سواء كانت مما يعرف بالحواس او ما يتعلق بالاستحضارات العقلية المجردة والافكار المشتركة لان كل استحضارات العقل تتخصص كاشياء محسوسة للحواس فالمصوّر الذي يفحص صورة والطبيب الذي يتأمل نبض المريض والقاضي الذي يزن شهادة الشهود والتاجر الذي يفكر بشراء سلعةٍ كل احد من هولاء يميل الى تقديم شفتيهِ عن غير ارادة كانهُ يريد ان يذوق طعاماً . وهذه الهيئة ترى في كثير من الناس عادةً وتدل على ترفع في النفس اذ يظنّ المرءُ في نفسهِ انهُ اقدر ممن سواهُ على الحكم في الاشخاص او

الاشياء او الحوادث فلذلك كانت من الهيئة في الاشخاص الذين تكون فيهم عادةً دليلًا على الكبر والدعوى (شكل ٤)

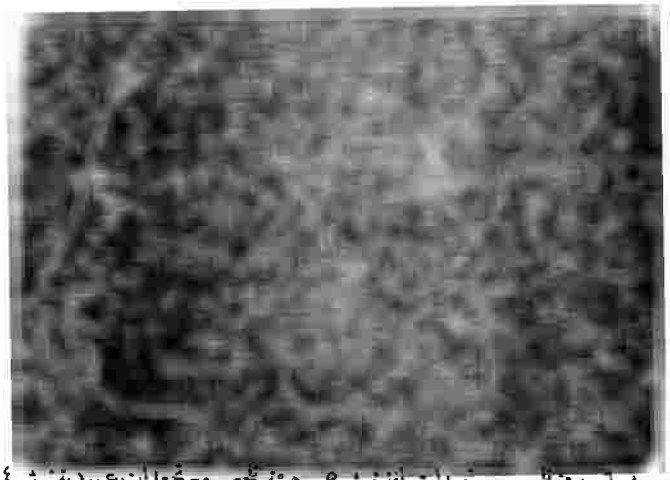

ش٦ هيئة فحص مع تجعدات افقية. ش٥ هيئة فحص مع تجعدات عمودية. ش٤ هيئة فحص

فان تركبت هيئة الفحص مع تجعدات عمودية في الجبهة دلت على ان في الشخص الذي يحكم في الامر شيئًا من الانقباض والغضب (شكل ٥). وان تركبت مع تجعدات افقية دلت على انهُ مستغرق في فحصهِ لاعتبار الشيء مهمًّا او دقيقًا كما ترى في (شكل ٦ و٧) وهذا الاخير صورة رجل يذوق الخمرة

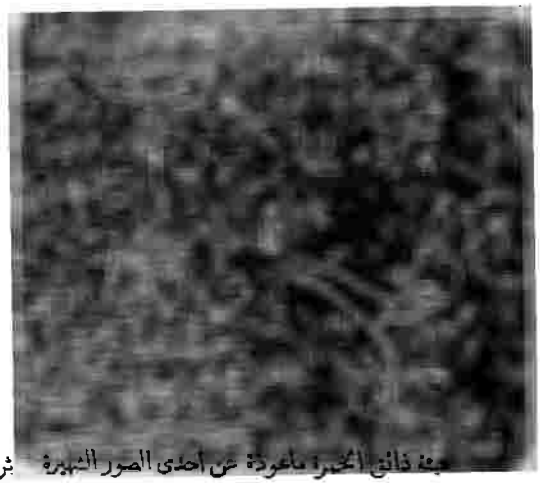

هيئة ذائق الخمرة ماخوذة عن احدى الصور الشهيرة ش٧

وهذه الهيئة تجدها كثيرًا في الذين يحبون بطونهم فان كل افكارهم تكون متجهة الى المآكل الحاصلة والمأمول بها فتبرز شفاههم كانهم امام شيء يذوقونه حقيقة وهذه الهيئة المكتسبة فيهم من شفههم بالطعام تنتهي اخيرًا بان تصير طبيعية . وتنمو هذه الهيئة كما قلنا في الذين يظنون انفسهم اشد ادراكًا من سواهم في الحكم على الناس والاشياء فترتسم اخيرًا على صورتهم كانها من اصل فطرتهم (عن الشفاء بتصرف)

سرعة الفكر وقياسها

أبعد الاشياء عن تصديق العوام تعيين سرعة الفكر وقياسها باجزاء من الزمان كما تقاس سرعة القطار في سيره وسرعة الفرس في عدوه وسرعة غيرها من الاجسام المتحركة باجزاء من الزمان والمكان . فلو سألت احدهم عن مقدار الزمان الذي يدرك فيه لون جسم او يتذكر لفظ كلمة لضحك منك واجابك على الفور ان هذه الامور لا تقاس بزمان لانها اسرع من ان تقبل القياس وربما مثّل لك على ذلك بما سمعناهُ من كثيرين وهو ان الفكر يقطع أبعد المسافات واقربها في اقلّ ما يتصوّر من الزمان بدليل ان الانسان قادرٌ ان يفتكر بنجم في آخر الكون وانسان في آخر الارض في مدة لا تزيد عن المدة التي يفتكر فيها بجاره الواقف بباب داره . فلو كان يقتضي للفكر وقتٌ او كانت سرعته تقبل القياس بزمن لما كان يبلغ باب الدار وآخر الارض ونهاية الكون في وقتٍ واحد . كذا يقول العامة في تفهيم قبول الفكر للقياس في السرعة ولا يزال كثيرون من الخاصة يشاركونهم في تفهيم هذا وادلتهم على ذلك اصح من دليل العامة المذكور ولكنها ليست اقوى منهُ لتقرير الفرض المطلوب

والذي تحقق بالتجارب القاطعة ان الفكر متفاوت في السرعة وان سرعته تقبل القياس اذ قد قيست فعلاً كما سيجيء . واما الشاهد الذي يوردهُ العامة على ان الفكر يقطع أطول المسافات وأقصرها في أقل ما يتصوّر من الزمان فمبنيٌّ على خطا في الفهم والحكم . لان الانسان الذي يفكّر في امر جارهِ الواقف بباب دارهِ او في أبعد اهل الارض عنهُ او في ابعد نجوم الكون عن الارض لا يبعث فكرهُ من دماغهِ (كما يرمي الحجر من يدهِ) حتى يحاذي جارهُ او ابعد الناس او النجوم عنهُ بل يحضر صور هذه الاشياء الثلاثة امام ذهنهِ فيراها بعين عقلهِ . اي ان الفكر لا يخرج من دماغ الانسان و يقطع المسافات التي بينهُ وبين ما يفتكر فيهِ حتى يصل اليهِ كما يتوهم العامة بل يحصل باحضار العقل صورة ما يفكر فيهِ امام نفسهِ والتفاتهِ اليها حينئذٍ .